

الاستدلال والتواصل غير اللغوي:
الاستدلال التصويري نموذجا

سعيد بنتاجر

جامعة الرباط – المغرب

said.bentajar@gmail.com

Received: 8 July 2013,
Revised: 22 Dec. 2013, Accepted: 23 Jan. 2014
Published online: 1 May 2014

الاستدلال والتواصل غير اللغوي:
الاستدلال التصويري نموذجا

سعيد بنتاجر
جامعة الرباط - المغرب

الملّخص

يتناول هذا البحث مصطلح "الاستدلال التصويري" للدلالة على المصطلح الانجليزي "Visual Argument" بدل "الاستدلال الصوري" من أجل تجنب اللبس في لفظ "الصوري" الذي أصطلح إطلاقه على المنهج المنطقي الذي يهتم بصور الاستدلال لا بمضمونه، ويدل عليه المصطلح الانجليزي (Formal) . وهو اصطلاح مؤقت في انتظار تأكيده أو استبداله.

وتتسع كلمة "دليل" في الاستعمال العام في "الثقافة الشعبية" أو في "الثقافة العالمة" لدلالات مختلفة.

غير أن استبعاد الصور من بوصفها مادة للدليل في المقاربات المنطقية والجدلية هي نتيجة لمقاربتها الاختزالية للاستدلال، مقاربة تفرضها الأطر المنهجية التي تحكم هذه المباحث.

يسعى البحث إلى إظهار المقاربة المنهجية التي يمكن أن تفيدنا بدرجة من الدرجات في دراسة الاستدلال عموما والاستدلال التصويري منه على الخصوص، هي المقاربة الخطابية، ضمن إطار النظريات التواصلية والخطابية التي تتناول الاستدلال، وفي هذه الحال يمكن القول إنه لا يمكن استبعاد العناصر غير اللغوية، مثل العناصر التصويرية والأفعال الإنسانية وغيرهما، من العناصر المشكلة لمواد الدليل في أي تصور يريد أن يكون أكثر واقعية للدليل، رغم صعوبة تأطيره في نظرية للدليل.

الكلمات المفتاحية: الاستدلال التصويري، الصورة، المنهج، دليل، مقاربة، الخطاب.

Semat. Vol. 2 No. 2, (May 2014)

Argument and Nonverbal Communication:
Visual Argument as a Case Study

Said Bentajar
University Rabat – Morocco

Abstract

This paper deals with the relation between argument and image, and with the possibility of broadening the concept of "argument" to include "visual argument". We claim that there is a similarity between the verbal argument and visual argument, and that the obstacles of theorizing visual arguments are the same as those that were on the road of studying "verbal argument." The aim is to refute some theoretical basis that opponents of "visual argument" based on to object the possibility and occurrence of this kind of argument.

Keywords: Argument; Image; Visual argument.

الاستدلال والتواصل غير اللغوي:
الاستدلال التصويري نموذجا

سعيد بنتاجر
جامعة الرباط - المغرب

نجحت نظرية الحجاج المعاصرة إلى حد كبير في تطوير البحث في مفهوم الاستدلال الطبيعي، وإخراج هذا البحث من سيطرة المنهج المنطقي الصوري إلى آفاق منهجية أرحب تسمح بدراسة الاستدلال الطبيعي كما هو بدون اختزال مخل. وقد كانت عملية الإخراج هذه صعبة، نظرا للاعتراضات التي ووجهت بها من قبل المناطقة ذوي التوجه الصوري من جهة، والتحديات التي كانت تواجه هذا النوع من البحث أيضا. ومع كل هذا التراكم الكبير الذي نجده في الدراسات الحجاجية المعاصرة، إلا أننا نجد أن الاختلاف يزداد توسعا بين المشتغلين في الموضوع وهو اختلاف لا يمس القضايا التفصيلية فقط، بل يمتد إلى الأصول والأسس النظرية والمنهجية. الاختلاف يمس في الأساس ما يفهم من الدليل والحجاج نفسه، سواء من جهة طبيعته أو وظيفته أو مكوناته أو علاقاته الخارجية. وهذا الاختلاف جعل النقاش على أشده في كل القضايا النظرية التي تمس الاستدلال، ومنها إمكانية الحديث عن أنواع من الاستدلال لا تستعمل اللغة الطبيعية

وفي هذه الإشكالية الأخيرة، التي ينشغل في إطارها هذا المقال، نجد توجها محافظا يرفض الحديث عن الاستدلال بدون لغة طبيعية، وتوجها يرى أن الاستدلال ليس متعلقا باللغة، وأن اللغة ما هي إلا وسيلة من بين وسائل أخرى للاستدلال. وبين الموقفين ما لا يعد من الأفكار والتوجهات بصدد الموضوع لا تختلف في ما تدعو إليه فقط، بل تختلف حتى في طبيعة المناهج والمباحث التي تصدر عنها. لأن التواصل اللغوي هو مجال للبحث واسع، كما أن التراكم النظري في دراسة الاستدلال تجعلنا أمام صعوبة كبيرة في مقاربة العلاقة بين الاستدلال والتواصل غير اللغوي، سواء من جهة البحث النظري التأسيسي أو من جهة الدراسات التجريبية والتطبيقية.

تمثل الصورة واحدة مما نسميه التواصل غير اللغوي، وهي موضوع شديد الأهمية في مجال السيميائيات وفلسفة الصورة والتواصل الإعلامي والدراسات التي تتناوله في تزايد مستمر مع ظهور القوة الفعلية للصورة في تاريخنا الراهن، خاصة مع وسائل الإعلام. لكن دراسة الصورة باعتبارها جزءا من استدلال مجال بحثي خاصة اهتمت به نظرية الحجاج المعاصرة. هذه الأخيرة جعلت مهمتها هي بناء نظرية في الاستدلال والحجاج؛ نظرية قادرة لأن تكون إطارا نظريا ملائما لوصف جميع الظواهر الاستدلالية كما تمارس في الواقع، كما تكون قادرة على تمييز الاستدلال الجيد من الاستدلال السيء. ومن الظواهر الاستدلال التي تواجهها هذه النظرية تلك التي يتم فيها الاستدلال بغير اللغة الطبيعية، ومنها الاستدلال بالصور مثلا. والسؤال الذي يفترض في نظرية الحجاج الإجابة عنه بهذا الصدد هو ما إذا كان هناك فعلا استدلال بالصور وبدون لغة. وهل نقبل

أن نسمي أنواعا من التواصل غير اللغوي الذي يراد منه تحقيق وظائف شبيهة بتلك التي يحققها الاستدلال الطبيعي استدلالا؟

إن المقاربة التي سنستعملها في هذا المقال لمناقشة الاستدلال التصويري هو التوجه إلى الأسس النظرية التي يعتمد عليها المعترضون على إمكانية الاستدلال التصويري، من خلال استحضار اعتراضات شبيهة ووجه بها الاستدلال اللغوي نفسه. بهذا المعنى فإننا لا نسعى إلى الاستدلال المباشر على إمكانية الاستدلال التصويري، بقدر ما نتوسل باستدلال غير مباشر يتجه إلى الاعتراضات الموجهة لهذه الإمكانية واستخراج أسسها النظرية والمنهجية، واستحضار الإجابات التي قدمت لها في الدفاع عن الاستدلال الطبيعي.

نستعمل في هذا المقال مصطلح «الاستدلال التصويري» للدلالة على المصطلح الانجليزي Visual Argument بدل "الاستدلال الصوري" من أجل تجنب اللبس في لفظ : "الصوري" الذي أصطلح إطلاقه على المنهج المنطقي الذي يهتم بصور الاستدلال لا بمضمونه، ويدل عليه المصطلح الانجليزي (Formal). وهو اصطلاح مؤقت في انتظار تأكيده أو استبداله.

١. الاستدلال:

تتسع كلمة "دليل" في الاستعمال العام في «الثقافة الشعبية» أو في "الثقافة العالمة" لدلالات مختلفة. فقد يطالب القاضي المدعي بالدليل على اتهام المتهم بالجريمة، وقد يقدم المدعي أدلته على شكل كلام أو أشياء أو صور أو غير ذلك؛ وفي نقاش بين صديقين يطالب أحدهما الآخر بتقديمه دليلا على انه فعلا زار اسطنبول، فيرد عليه الصديق باستخراج صورة أو فيديو يظهر فيها في معلمة معروفة في اسطنبول؛ ويضطر العالم التجريبي في علم الفلك أن يظهر صورا كأدلة على أنه فعلا اكتشف شيئا جديدا؛ وفي نقاش بين إمامين مغربيين حول قضية ما يطالب أحدهما الآخر بدليل على أن هذا الحكم جائز في الدين، فيكون جواب محاوره هو أن الإمام مالك قد أفتى بجوازه. في مثل هذه الأمثلة المتداولة نسمع مطالبة الدليل، ونسمع من يقدم أشياءا على أنها أدلة، هذه الأشياء قد تكون جملة من اللغة الطبيعية وقد تكون صورة وقد يكون اسما لسلطة ما شخصية (الإمام مالك عند الفقهاء المالكية، ومثله الخبراء المشهورين في تخصصات معينة مثلا) أو مرجعية (القرآن عند المسلمين، أو الإنجيل عند المسيحيين، وما إلى ذلك).

غير أن هذه الاستعمالات، وإن جازت أن تكون منطلقا للتحليل، إلا أنها لا تتطابق مع التصورات المعروفة في المباحث التي تتناول الدليل، وخصوصا المنطق. ففي التصور المنطقي التقليدي للدليل نجد ان الدليل يعرف بكونه «مجموعة من القضايا بحيث أن إحداها تُقدَّم كدعوى تابعة لأخريات، حيث تُقدَّم هذه الأخيرة باعتبارها سندا أو أسسا لصدق الأولى». وفي صيغة أخرى يعرفه بأنه: "مجموعة من القضايا بحيث أن إحداها، النتيجة، يُدَّعى صدقها بناء على الأخريات، المقدمات، بحيث أن هذه تقدم كأسس أو مبررات لقبول النتيجة"□. وهذا تعريف يعود أصله إلى أرسطو عندما عرف القياس في كتاب التحليلات الأولى على أنه «قول إذا وضعت فيه أشياء أكثر من واحد لزم شيء ما آخر باضطرار"□. لكن هذه التصورات المنطقية للدليل أتهمت من قبل المنظرين المعاصرين للحجاج (وهم من ذوي تخصصات مختلفة منها: المنطق والخطابة والتواصل) بالاختزال والبعد عن الواقع. لذلك صارت كبرى مهمات النظريات الحجاجية المعاصرة هي أن تقدم تصورا ملائما للدليل كما يرد في الواقع. تصور يمكنه أن يراعي الأبعاد الواقعية المختلفة التي يستعمل فيها الدليل. وهي أبعاد غير محددة بمجال معرفي أو عملي معين، لكنها مرتبطة كلها بالإنسان.

1- Irving M. Copi and Carl Cohen: Introduction to Logic (New York, Macmillan Publishing Company, 8th ed, 1990), p: 6-7.

□- أرسطو: منطق أرسطو (تحقيق: عبدالرحمن بدوي، الكويت- بيروت، وكالة المطبوعات- دار القلم،١٩٨٠)، ص: ١.

ورغم أنه من الصعب تقديم تحديد دقيق للمفهوم من الدليل الواقعي ما لم نقم باختيار منهجي وتأويلي مسبق، إلا أنه من الممكن أن نعرض للقدر الأكبر من الأبعاد التي يتسم بها. ذلك أن ما يهمنا هنا هو استكشاف الملامح الواقعية للدليل، ومحاولة تحديد ما الذي تعنيه الدراسات الحجاجية عندما تصف الدليل بالواقعي. يتسم الدليل بعدد من الأبعاد التي تجعله يتبدى في مظهر واقعي، هذه الخصائص العامة والظاهرة قد تفيدنا في تلمس المعنى المقصود بواقعية الدليل، والتي تتجلى فيما يلي:

– البعد النفسي: لا ينفك الدليل عن الإنسان، بل إن الأدلة موجودة في الإنسان[3]، من جهة كونها بناءات من ذهنه، ومن جهة كونها فعاليات معرفية (Cognitive) ومن جهة تعلقها بانفعالاته ومن جهة ارتباطها باعتقاداته ومقاصده. وسواء كان الأمر يتعلق بمُنتجه أو بمُتلقيه، فإن الدليل شديد الارتباط بالمكونَ النفسي في الإنسان. وهو يتجلى في مستويات مختلفة: أحدها أن الدليل مصدره الإنسان وما يعتمل فيه من عمليات بعضها عقلي معرفي وبعضها انفعالي، بعضها واع وبعضها غير واع. إن الدليل بهذا المعنى هو نتاج عمل ذهني، إن لم يكن هو بالذات عملا ذهنيا. ويتجلى هذا البعد في ما يسميه النظار بالتعقل (Reasoning) في الدراسات المنطقية والنفسية والفلسفية عندما يناقشون العلاقة بين التعقل واللزوم من جهة، والدليل من جهة أخرى، هل هما متطابقان أم أنهما مختلفان؟ بالإضافة إلى الإشكال الآخر المتعلق بطبيعة النظر هل هو داخلي نفسي أم خطابي اجتماعي خارجي؟

ويتجلى المستوى المعرفي من الدليل في المفهوم من النظر واللزوم، عند بعض النظريات ذات التوجه المعرفي أو التي تراعي البعد المعرفي من النظريات الخطابية وغيرها، فـ«التجربة اللزومية والإدراكية للانتباه إلى الدليل أو إلى الحاجة إليه؛ وفعاليات الذاكرة في تخزين واستحضار وإعادة بناء العناصر المعرفية المناسبة؛ وفعالية معالجة المعلومات المطبقة على الدليل وعلى أجزائه المفترضة؛ والطاقات الإبداعية التي تكوّن أدلة جديدة أو تستجيب لأخرى؛ والملكات الإنتاجية التي تعطي للأقوال صورتها. وعملية معالجة المعلومة، التي تشبه القياس، هي التي توصف بدون منازع بالتعقل[4]. ويضاف إلى هذا الجانب جانب نفسي آخر، إذ بعد تخلص نظرية الحجاج من المقاربة الصورية الضيقة للدليل، أعيد النظر في أحد مكونات الدليل المعروف في مجال الخطابة، وهو البعد الانفعالي في الدليل. إن دور الانفعال هو ذلك الذي التفت إليه أرسطو في كتاب الخطابة والذي سماه بـ "الباثوس (Pathos)"، والذي تجتهد النظريات الحجاجية لمراعاته وتحديد المكان المناسب له في نظرياتهم، من حيث كونه واقعا لا محيص عنه عند التعامل مع الدليل. ذلك أن الانفعال قد يكون منطلقا للدليل وقد يكون مصاحبا للدليل وقد يكون نتيجة للدليل، خاصة إذا راعينا المقام الحواري للدليل. وفي هذا المقام نشهد حضور توجيه الهوى والغرضية والمغالطات المستحضرة للانفعال من تهديد واسترحام واستمالة، وغير ذلك. وهذه أمور تحضر في كل المقامات التي يحضر فيها الدليل، من المقامات الإنسانية العادية واليومية إلى المقامات الفئوية التخصصية، في المؤتمرات العلمية والفلسفية وفي القضاء وفي السياسة وفي الخطابات الدينية والأخلاقية، وغيرها. غير أن الحديث بهذه الطريقة قد يفيد أن الانفعال هو مركب مضاف إلى الدليل، وليس جزءا منه، وهذا أحد أهم المناقشات التي تشغل ميدان البحث في نظريات الحجاج والخطابة، بالإضافة إلى مسألة مشروعية التوسل بالانفعال في الحجاج. لكن ما

3- Wayne Brockriede: “Where is Argument?” In Perspectives on Argument, Proceedings of the Summer Conference on Argumentation., ed. Robert Trapp and Janice Schuetz, (News York – Amsterdam -Brussels: International Debate Education Association, 1980) , p. 6

4- Dale Hample: “A Third Perspective on Argument”, Philosophy and Rhetoric, 18 (1), 1985, p. 2

هو شبه متفق عليه أنه لا انفكاك للدليل الواقعي من الانفعال. هناك عامل آخر مهم متعلق بالدليل يمكن تصنيفه مؤقتا في المجال النفسي للإنسان هو القصد. فالدليل ينطوي على معنى ما، والمعنى كما تقرر بعض النظريات التداولية يتعلق بمقاصد المتكلم وبتعرف المستمع على هذه المقاصد، وتبعا لذلك، فإن الدليل هو أيضا مرتبط بمقاصد الفاعل له وبه والمنفعل به. إذا كانت أفعال العقلاء مصانة عن العبث وكان الدليل فعلا إنسانيا عقلانيا فهو بذلك محكوم بمقاصد، هذه المقاصد في أمور غير ظاهرة قابعة في الفعاليات النفسية الإنسان. وتكاد كل النظريات الحجاجية المعاصرة تجمع على الدور الذي يلعبه هذا العامل في الدليل، غير أن طبيعته وقيمته ودرجة فعاليته تختلف من نظرية إلى أخرى.

- البعد الاجتماعي والتواصلي: ليس الدليل منقطعا عن الواقع الإنساني الجماعي ثاويا محصورا في الجهاز النفسي للإنسان فقط، إنه بالأحرى جزء مهم من التواصل الاجتماعي، وهو يتقلب بين حالين في علاقة تبادلية: أن يكون أصلا للعلاقات الاجتماعية، وأن يكون نتيجة للعلاقات الاجتماعية. إن الدليل بالمعاني المتعارف عليها، على الأقل في المرحلة التي يقدمه فيها الإنسان للتداول الخارجي، يمثل رسالة تواصلية إلى مُستقبِل، هذا المستقبل يفترض أن يأتي برد فعل على هذا الدليل، هذه العملية التي يصطلح عليها الحجاج، ويرادفها البعض بمفهوم الدليل نفسه، هو فعل اجتماعي. فقد يكون الدليل انطلاقا لعلاقة اجتماعية، عندما يخرج الدليل من ذات الدال قولا أو كتابة في اتجاه متلق محدد أو غير محدد، ومباشرة بعد تفاعل المتلقي مع الدليل إيجابا أو سلبا ينطلق تواصل حواري يتخذ عند البعض صفة الإقناع فقط، ويتسع عند البعض لتفاعلات أخرى إضافة إلى الإقناع. وهذا النوع من التفاعل الذي ينطلق من الدليل لا يتوقف فقط عند التواصل اللغوي، بل قد يصل إلى التأثير المتبادل وتشكيل علاقات الإتفاق والاختلاف في القضايا النظرية والعملية، التي تهم الفرد والجماعة معا؛ كما أن الدليل قد يكون نتيجة لعلاقة اجتماعية ما، ذلك أنه لا تخلوا علاقة اجتماعية ما بين شخصين أو أكثر من التفاعل بالدليل، يتجلى ذلك في حضوره في أكثر المؤسسات الاجتماعية، سواء منها الموصوفة بالطبيعية مثل علاقات القرابة العائلية والزواج والتجارة والصداقة أو التي تتخذ بعدا رسميا، مثل المؤسسات السياسية والقانونية والعسكرية والمنظمات المدنية والخيرية والنوادي والشركات وغيرها، كل هذه المؤسسات تجعل، قصدا أو عن غير قصد، من آليات استمرارها التداول في قضاياها بالدليل والحجاج عوضا عن الآليات الأخرى في حسم الخلاف والتأثير الاجتماعي. إن إنتاج الدليل، إذا كان حصيلة تعقل، فهو حصيلة تراكم معطيات معرفية مستقاة من التنشئة الاجتماعية المستمرة من الظروف الاجتماعية المحيطة، والأدلة مهما كانت درجة تجريدها محكومة بطبيعة هذه التنشئة وهذا المحيط. وعموما، لا ينفك الدليل عن التواصل الاجتماعي من حيث كونه ذا مصدر إنساني من جهة، ومن حيث إن من يتلقاه إنساني من جهة أخرى. وسواء كان هذا التواصل الاجتماعي مباشرا أو غير مباشر، فإنه يشكل البيئة الحيوية التي يتحرك فيها الدليل. إن الدليل هو ذو أصل اجتماعي وفعالية اجتماعية وله تأثير اجتماعي.

- البعد القيمي: بحكم اجتماعيته، لا ينفك الدليل عن القيم إما متأسسا عليها أو مؤسسا لها أو مصححا لها. فالدليل لا شك يراعى في إنتاجه وتلقيه قيما متعلقة بمصدره أو متلقيه أو المقام المحيط به، كما أن من القيم ما يمكن تأسيسه بالدليل، ومنها ما سيكون خاضعا للتصحيح والتقويم بالدليل. يقول **بيرلمان** في هذا الصدد "إن القيم تدخل، في لحظة أو أخرى، في كل الأدلة. [...] في الميادين القضائية والسياسية والفلسفية تدخل القيم كأساس للحجاج على طول مراحل تطورها. ويتم اللجوء إليها من أجل دفع المتلقي للقيام بخيار دون آخر، وخاصة من أجل تعليل هذا الخيار بطريقة تجعله مقبولا ومستحسنا من قبل

الآخر»□. تتجلى أهمية القيم للدليل في أوجه كثيرة منها: «أولا، إن القيم تساعد المستدلين في اختيار دعاواهم وتحديد المسائل المهمة؛ وثانيا، أنها يمكن أن تلعب دورا في أي جزء من أجزاء الدليل بما فيه الدعوى أو الأسس أو الضمانة. إنها تظهر كمبررات للمواقف والقرارات المتخذة؛ وثالثا، أنها تقدم أرضية مشتركة حقيقية أو مفترضة بين المتحاجين، وتربط الأدلة بالمتلقي. ورابعا، أنها تقدم الوسائل للانتقادات التي تهدف لفحص الدليل العمومي»(□).

-البعد العملي: اتفقت معظم النظريات الخطابية على البعد العملي للحجاج، من حيث أنه فعل غاية إقناع المخاطب من أجل اتخاذ قرار عملي، كما هو الشأن بالنسبة للخطلة السياسية أو الخطابة في المحكمة، وقد أثل أرسطو في كتاب الخطابة مفهوم الدليل الخطابي ضميرا كان أو مثالا لكي يكون توصيفا لظاهرة واقعية تستهدف التأثير على المخاطَب لأجل اتخاذ قرار عملي، والمعيار الذي يتم به تقييم نجاح الحجاج الخطابي هو النجاعة في تحقيق الهدف، أي في إقناع الآخر المتجلي في اتخاذه التصرف العملي المعبر عن هذا الاقتناع، كحكم القاضي لصالح الخطيب أو موافقة المستشارين على القرار الجماعي السياسي للخطيب. وفي التنظير المعاصر للدليل، وخاصة بعد انبثاق نظرية الخطابة الجديدة تم توسيع الدليل الخطابي ليكون ملائما لمقامات أخرى غير تلك التي خصصها فيه أرسطو، بل صار البعد العملي للدليل أمرا مقررا ومتفقا عليه. ويدل عنوان

"اتخاذ القرار من خلال النقاش"(□)، وهو أحد أشهر المصنفات في مجال الحجاج في الولايات المتحدة الأمريكية في الستينات والسبعينات، على جوهرية البعد العملي للدليل. الدليل في ذاته فعل من الأفعال سواء كان بمعنى الفعالية التعقلية أو الفعل اللغوي أو الفعل التواصلي. فيكون الدليل بذلك تجليا لفعل إنساني لتحقيق غرض عملي، سواء كان هذا الغرض معرفيا صرفا أو تأسيسا لاتخاذ قرار عملي. وقد ينفتح هذا الطابع العملي الفردي على طابع عملي عمومي فيلامس بذلك مفهومٍ السياسة باعتباره مجالا لاتخاذ القرار جماعيا.

إن تعدد هذه الأبعاد الواقعية يقابلها تعدد واختلاف في التعاطي مع مفهوم الدليل، إذ لا نجد اتفاقا بين المتخصصين في نظرية الحجاج على تعريف واحد للدليل، ولا حتى على المنهج الذي يجب الاعتماد عليه من أجل صياغة التعريف. نقطة الانطلاق كانت عبر تحليل المعنى اللغوي والاستعمالي لكلمة "Argument"، إذ يعتبر "**دانييل أوكيف**" (Daniel O'keefe) أول من ميز ازدواج معنى "Argument" في اللغة الإنجليزية وفي الدراسات الحجاجية بين معنى الدليل كشيء أو كمنتوج ومعنى التدليل كممارسة، ففي مقالة مشهورة تحت عنوان "تصوران للدليل". لاحظ "أوكيف" أن اللفظ الانجليزي Argument له معنيان في اللغة الجارية، معنى يفيد أنه عبارة أو مجموعة عبارات أو فعل تواصلي كقولهم "His Argument is strong" أو "He made an argument"؛ ومعنى أنه تفاعل بين طرفين على الأقل، كقولهم "They had an argument" أي كان بينهما (أو بينهم) نقاشا أو جدالا. ويشير "**أوكيف**" إلى أن التمييز بين هذين المعنيين غائب في الكتابات الحجاجية، مبينا أن لذلك نتائج سلبية في البحث في هذا الميدان، كما أنه بشر بأن العمل بهذا التمييز سيؤدي لا محالة

5- Chaim Perelman and Lucie Olbrechts-Tyteca: Traité de L'argumentation: La nouvelle Rhétorique. (Paris, P. U. F, 1958), p. 100.

6- Gregg B. Walker & Malcolm O. Sillars: «Where is Argument? Perelman's Theory of Values» In Perspectives on Argument, Proceedings of the summer conference on argumentation. Ed. R. Trapp & J. Schuetz (New York - Amesterdam - Brussels: International Debate Education Association, 1980), p. 137

7- Ehninger, D., and W. Brockriede: Decision by Debate (New York: Dodd, Mead, 1962).

إلى تقدم ما في دراسة الدليل[8]. لقد زكى هذا التمييز اللغوي التمييز المنهجي للتعامل مع ظاهرة الدليل بين التصور الذي يرى في الدليل منتوجا مكتملا مكونا من مجموعة عبارات مترابطة بعلاقات منطقية، وهذا هو التصور منطقي، وبين من يرى أنه الدليل ليس منتوجا مكتملا، بل سيرورة استدلال غير مكتملة، وأن انتزاع مجموعة عبارات من هذه السيرورة لا يعبر عن الطبيعة الحقيقية للدليل. وبالإضافة إلى هذا التمييز الأول بين الدليل كمنتوج والدليل كسيرورة أو فعالية، أضاف كل من «**دوغلاس إهنينكر**» (Douglas Ehninger) و"**واين بروكرايد**" (Wayne Brockriede) معنى ثالثا هو الدليل كمسطرة أو كمنهج جدلي استكشافي من اجل تحصيل المعرفة أو من اجل اتخاذ قرار عملي. ويدعو دال هامبل إلى اعتبار وجه آخر من الدليل، سماه ·Argument، وهو الدليل بمعناه المعرفي (cognitive)، أي تلك الفعالية الاستدلالية التي يقوم بها الإنسان في ذهنه قبل أن يخرج دليله إلى العلن عبر اللغة أو أي نسق تواصلي آخر. من خلال هذه المعاني المتعددة الصادرة عن المقاربات المختلفة يمكن لنا تلمس اتساع مجال القول في الدليل.

٢. الاستدلال واللغة:

من الصعب تحديد العلاقة بين الدليل واللغة الطبيعية في دراسة الدليل. إذ أن كل عناصر هذه العلاقة تبقى في ذاتها ملتبسة. يمكن أن نميز في هذه العلاقة بين وجهين: وجه تكون فيه اللغة الطبيعية «فقط» مقاما للدليل، على أن الدليل نفسه ليس بالضرورة خطابا طبيعيا، إن اللغة الطبيعية هنا هي بمثابة الملعب الذي يلعب فيه الدليل، وبذلك يكون الخطاب الطبيعي ظرفا للدليل؛ والوجه الثاني هو أن اللغة الطبيعية، بالإضافة إلى كونها مقاما، تمثل مادة الدليل نفسه. ذلك أن الدليل، على الأقل في أحد تأويلاته، هو أولا وأخيرا خطاب طبيعي متميز. وتتعقد هذه العلاقة بالنظر إلى تعقد التمثلات التي يمكن إعطاؤها لكل من طرفيها. ولكل تأويل من التأويلات الممكنة نتائج متميزة.

وإذا كان من الطبيعي أن تحصر التصورات التقليدية مجال الدليل والحجاج في اللغة الطبيعية والصورية، فإن الكثير من التصورات الحجاجية المعاصرة قد اتفقت على حصرهما في اللغة الطبيعية. من أشهرها التصور الذي تدافع عنه المدرسة الهولندية، إذ تقرر هذه الأخيرة أن "الحجاج يتطلب استعمال اللغة. ذلك أن الشخص المنخرط في حجاج يقوم بإقرارات أو عبارات، يفترض أمراً ما أو يشكك فيه أو ينفيه وهكذا. ولتحقيق كل ذلك لا بد له أن يقول كلمات وجمل (سواء كانت مكتوبة أو شفوية). وبالإضافة إلى هذه الوسائل اللغوية، يمكنه، تماما كما في مثل الأنشطة اللغوية الأخرى، استعمال الوسائل غير اللغوية (مثل: تعابير الوجه والإشارات)، ولأجل أن تحقيق هذه الوسائل لوظيفة حجاجية يجوز دائما أن تكون قابلة للتعبير في شكل لغوي. وإلا فإن الوسائل غير اللغوية للتواصل لا يمكن أبدا أن تعوض بشكل كامل الوسائل اللغوية: الحجاج بدون لغة محال»[9]. نفس الموقف يعبر عنه «كنوبر» الذي يقرر أن الرموز غير اللغوية يمكن أن تستعمل في الدليل، لكنها لا تعمل كأدلة ما لم يتم ترجمتها لغويا. ويدعي بالثروب أن الدليل هو أساسا خطابي ولغوي، وأن التصور الذي يرى أن الأشكال غير الخطابية أو الفنية يمكن أن تكون أدلة قد يمنع الدليل من تأدية وظيفة تقديم الإسناد أو التعليل. وفي هذا الاتجاه أيضا، يرى كل من تولمين وريكي وجانيك أن التعقل لا يمكن أن يكون في غياب اللغة وكل من "الدعوى" و"الاعتبارات المستعملة لإسنادها" يجب أن يتم التعبير عنها بنسق من الرموز اللغوية[10]. ويدافع كل من

8- O’Keefe, J. Daniel.: “Two concepts of argument.”, (Journal of the American Forensic Association, 13 (3)), pp. 121-2.

9- David Fleming: “Can Pictures be Arguments?” (Argumentation & Advocacy, 33 (1), 1996), p. 11.
10- Ibid.

جونسون وبورلسون على حصرية استعمال اللغة في الدليل دون غيرها، محاولين تفنيد التصورات التي تقول غير ذلك[□□].

عموما يمكن التمييز في تصورات المستبعدين للتصور في تأطير الاستدلال والحجاج إلى مستويين: استبعاد كلي لأي عنصر غير لغوي في الدليل، حيث لا يعتبر أي شيء آخر غير اللغة في الحجاج، الحجاج بداية ونهاية ذو طبيعة لغوية لفظية. واستبعاد جزئي، يقر بأن الحجاج هو أساسا ذو طبيعة لغوية، مع الأخذ بعين الاعتبار التواصل غير اللغوي كعامل مساعد. بمعنى، ليس هناك حجاج بتواصل غير لغوي فقط.

٣. الاستدلال والتواصل غير اللغوي:

هناك من التواصل بين الناس ما ليس تواصلا لغويا، وهو المعروف بالتواصل غير اللغوي (communication non-verbal). وبناء عليه، فإن الذين يعتبرون الدليل نوعا من التواصل لا بد وأن يصلوا إلى الاعتراف بوجود أدلة تصويرية غير لغوية عموما. هذا من جهة، من جهة أخرى فإن استقراء الواقع يفتح الباب لاحتمال قوي بوجود دليل تصويري غير لغوي، خاصة في وسائل الإعلام الحديثة، حيث يتلقى "المشاهد" أطباقا متعددة متنوعة من الخطابات الإقناعية المباشرة وغير المباشرة، القولية والسمعية والبصرية. مما يستدعي من الباحثين في مجالات التواصل والخطابة والمنطق تحليل هذه الخطابات وبناء نظريات تفسيرية وتقويمية ملائمة لفهم وتقويم هذه الخطابات. وإذا كانت الأبحاث في هذا الموضوع في نظريات التواصل والخطابة متقدمة، فإنها في مجال المنطق ونظرية الحجاج لا زالت تتلمس طريقها الصعب والوعر؛ ولا يمكن إرجاع هذا التأخر إلا للصعوبات النظرية والمنهجية التي تكتنف البحث في موضوع الدليل والاستدلال كما يردان في الواقع واللغة الطبيعية. مما يعني أن إضافة السياق غير اللغوي يزيد من تعقيد هذا البحث.

يفهم من التواصل غير اللغوي التواصل الذي يتم بين طرفين أو أكثر من خلال وسيط سيميائي غير اللغة. كما هو الشأن بالنسبة لإيماءات والإشارات والحركات والصور وغيرها التي يقوم بها الإنسان لتبليغ معلومة للآخر أو التعبير له عن انفعال أو التأثير فيه. واتسعت الدراسات السيميائية المعاصرة لتشمل دراسة هذا النوع من التواصل، خاصة الجانب الدلالي منه، في إطار نظريات متعددة.

لقد كان أرسطو سباقا إلى الإشارة إلى الأدوار التواصلية التي تلعبها الأمور غير اللغوية في الحجاج والاستدلال. ونجد هذه الإشارة مؤطرة في تصوره للخطابة. ففي المقام الخطابي يتم التعامل بمرونة أكثر مع صور ومضامين الاستدلال والحجاج. يتميز الاستدلال الخطابي عند أرسطو بأنه لا ينحصر في وجهه اللغوي/العقلاني (Logos) وحده، كما هو الشأن في الاستدلال البرهاني والاستدلال الجدلي، بل يشاركه وجهان آخران: الوجه الانفعالي (Pathos) والوجه الأخلاقي (Ethos). ويمثل الضمير عمدة الاستدلال الخطابي، وهو في المعنى المشهور (غير المأخوذ من كتاب الخطابة): "قياس ناقص مكون من التشابهات والعلامات"[□□]. إن مجال الاستدلال الخطابي عند أرسطو يسمح بدخول الكثير من العناصر التي يمتنع دخولها في الاستدلال القياسي في المنطق. إذ يتميز مجال الخطابة بكونه مجالا الاحتمال، حيث تشكل العلامات، مثلا، عناصر غير حاسمة عند استعمالها في الاستدلال الخطابي (الدخان علامة للنار مثلا).كما يسمح الاستدلال

11- R. Burleson: "The Place of Nondiscursive Symbolism, Formal Characterizations, and Hermeneutics in Argument Analysis and Criticism" (Journal of American Forensics Assocoation, N.16, 1980), p.222-31; Ralph H. Johnson: Manifest Rationality: A Pragmatic Theory of Argument, (Mabwah/London: Lawrence Erlbaum Associates Inc, 2000).

□□- أرسطو: منطق أرسطو (تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الكويت وبيروت، وكالة المطبوعات ودار القلم، ١٩٨٠)، ٧٠ أ ١٠.

الخطابي بأن يكون للحال الأخلاقي للمتكلم دور ما في الإقناع، دون أن يكون هذا الحال معبرا عنه باللغة. وبعد النهضة الحجاجية التي أعقبت طغيان التصورات المنطقية الصورية للاستدلال من جهة والتصورات الخطابية الأسلوبية من جهة أخرى، انطلق التنظير لإدماج العناصر غير اللغوية في الدليل في إطار نظريات حجاجية تستحضر الجهد الأرسطي في كتاب الخطابة. وسواء كانت هذه العناصر غير اللغوية أمورا كانت معروفة عند أرسطو (الحال الأخلاقي للمتكلم وأفعاله) أو كانت غير معروفة (الصور والفيديو مثلا)، فإن خطابة أرسطو تضمنت عناصر نظرية قادرة على أن تشكل بداية لتأصيل هذا الجانب في الاستدلال.

٤. الاستدلال بالصور:

وفي هذا السياق، يدعو **غروركي** وبيردسِل إلى توسيع نظرية الدليل من خلال اعتبار التصوير في الدليل، على اعتبار أن نظرية الحجاج من دون هذا التوسيع لن تجد طريقا لحل العديد من المشاكل التي يفرضها الاستعمال المكثف لحيل تصويرية، صارت تلعب دورا مهما في ممارستنا الحجاجية، حتى تكون قابلة للتقويم من خلال معايير حجاجية. إنهما يقترحان توسيع معنى "الضمير" كما أثله **أرسطو** في كتاب الخطابة، لأنه يفتح الباب لاعتبار الجوانب الأخلاقية والانفعالية بالإضافة إلى العقلانية في الدليل. هذه الأدلة يمكن تحليلها انطلاقا من النسق الخطابي الأرسطي، بالتساؤل عن الكيفية التي يمكن بها فهم وتقييم هذه الأدلة من وجهة النظر العقلية (Logos) والانفعالية (Pathos) والأخلاقية (Ethos)[□□]. ويعرف غروركي وبيردسِل الدليل التصويري بأنه الدليل (بمعناه التقليدي الذي يتكون من المقدمة والنتيجة) الذي يُبَلَّغ في صور[□□]. وتفهم الأدلة التصويرية على أنها أدلة قضوية يعبر عن قضاياها ووظيفتها الحجاجية وأدوارها بشكل تصويري، بالتلوين والرسم والصورة الفوتوغرافية والنحت والفيلم والفيديو للصور والرسوم والرسوم المتحركة والتصوير بالحاسوب مثلا[□□].

يمكن للصور أن تلعب أدوارا مهمة في كثير من الأدلة؛ فهي تمثل معلومات وبينات دقيقة وملائمة في بعضها، وفي بعضها يكون لها دور خطابي إضافي أكثر بلاغة وإقناعا من الكلمات. وبعض الأدلة التصويرية تتكون كليا بعناصر تصويرية؛ وبعضها الآخر يتكون من خليط من اللغة والصور[□□]. لكن ليس كل دليل يتضمن صورا سيعتبر دليلا تصويريا، وإنما يميز «غروركي» في الوظائف التي تلعبها الصور التي ترد في الدليل إلى ثلاثة أقسام:

١- صور لا تلعب أي دور حجاجي أو إقناعي.

٢- صور تلعب دور العلَامة المثيرة للانتباه، أي أن دورها ينحصر في إثارة الانتباه إلى الدليل اللغوي الذي يرافقه.

٣- الصور التي تبين أنه يمكن أن تفهم على أنها خطاب أو أفعال تواصلية تساهم بشكل مباشر في التفاعل الحجاجي[□□].

لا يمكن حصر الصور في الأنواع المستعملة في الإعلام فقط، بل إنها تشمل حتى الخطاطات والنماذج التصويرية المستعملة في العلوم الدقيقة حتى الصورية مثل الرياضيات. الدور الذي تلعبه هذه الصور في العلوم قد لا يكون محصورا في التوضيح بل يتعداها إلى أن يكون جزءا من التعقل[□□]، بالتالي الاستدلال. يمكن للصور أن تكون جزءا أساسيا من الدليل، بحيث لا تقوم للدليل قائمة من دونها. صحيح أن هناك إمكانية لترجمة أغلب هذه الصور إلى اللغة الطبيعية أو الرمزية. إلا أن هذا لا يعني أن هذه الترجمة ترفع

13- David S, Birdsell and Leo A Groarke: "Outlines of a Theory of Visual Argument." (Argumentation and Advocacy, 1 (43), 2007), p: 103.

14- Ibid., p:103

15- Anthony J. Blair: Groundwork in the Theory of Argumentation: Selected Papers (Dordrecht-NewYork – London, Springer, 2012), p: 209.

16- Birdsell & Groarke: "Outlines of a Theory of Visual Argument.", p: 103; Gilbert, 2003, p:8.

17- Ibid.

□□- بناصر البعزاتي: الاستدلال والبناء: بحث في خصائص العقلية العلمية (الرباط والدارالبيضاء، دار الأمان والمركز الثقافي العربي، ١٩٩٩)، ص:٢٤٠

من أصلية اللغة في مقابل الصورة، كما أننا لا نسلم أن كل هذه الصور يمكن ترجمتها إلى اللغة(□□).

قد لا نجد كثير اعتراض على إمكانية استعمال الصور في الاستدلال استعمالا جزئيا، بمعنى أن يكون الاستدلال مكونا من الصور والعبارات اللغوية، لكننا نجد اعتراضات كثيرة على إمكانية الاستدلال التصويري الكامل. لذلك فإن عبء البحث والاستدلال الملقى على الدارسين الساعين لإدماج دراسة التواصل التصويري في دراسة الاستدلال والحجاج هو إثبات إمكانية الاستدلال التصويري الكامل. وفي هذا السياق نقف وقفة مع بعض الاعتراضات (العوائق) التي تواجه فكرة الاستدلال التصويري الكامل. وهي التي يمكن أن تصنف إلى صنفين: صنف يمثل الاعتراضات المنطقية التي تحكم بصعوبة أو استحالة جعل مجموعة من الصور تنتظم في بنية منطقية لزومية. فإذا كان المنطق يدرس أساسا ذلك الاستدلال الذي ننتقل فيه من مقدمات (مبررات أو أسس أو غيرهما) إلى نتيجة (أطروحة أو موقف أو غيرهما)، فإن ما يسمى "الاستدلال التصويري" غير موجود أو أنه وجوده عرضي فقط، لأننا لا نستطيع أن نميز في مجموعة صور بين المقدمات والنتيجة(□□)؛ الصنف الثاني من الاعتراضات يدور حول الجانب الدلالي. وهي تركز على قدرة الصور على التعبير عن دلالات محددة، تسمح للمتواصلين بها تبادل المعاني والتفاهم وبالتالي الحجاج. يمكن إيجاز أهم مبررات المعترضين كما تتجلى في أننا لا نجد في الصور إثباتا، بمعنى أنها لا تقدم لنا عبارات قابلة لأن توزن بمعيار الصدق والكذب، بل إنها تشير إلى المدلول ولا تعبر عنه. ومن وجهة أخرى، لا يمكنها أن تعبر عن النفي بمعناه الدلالي والمنطقي أو الإبطال بالمعنى الجدلي. فإذا استطاعت صورة ما أن تعبر عن فكرة ما، فلا يمكن أن نجد صورة أخرى قادرة على نفي ما تعبر عنه الصورة الأولى أو إبطالها بشكل مباشر. وهذا أمر مرتبط أساسا بما يعتقده المعترضون من أن الصورة يغلب فيها الغموض والاشتباه ما يمنعها من القيام بالوظائف التي تقوم بها العبارات اللغوية. إذ أن الكلمات، على عكس الصور، لها سلطة معترف بها في مجال الدليل والحجاج. والصور هي ذات طابع انفعالي، وليست أبدا معرفية(□□).

لا أحد يدعي أنه يملك الإجابة الكاملة عن هذه الاعتراضات، كما أنه ليس من المسلم أن كل تلك الاعتراضات ثابتة وحاسمة في ما تروم الوصول إليه. ذلك أن الحسم ليس في متناول البحث في مجال نظرية الاستدلال والحجاج فقط، ولا يتخذ صبغة دراسة نظرية فقط. إن الإجابة عن هذه الإشكالية عموما، وعن هذه الاعتراضات على الخصوص، يجب أن تكون نتيجة لدراسات معمقة في مجالات أخرى خارجة عن ميدان نظرية الاستدلال والحجاج، وخصوصا نظريات التواصل والسيميائيات والأنتروبولوجيا وعلم النفس وعلوم اللغة وفلسفتها وفلسفة الصورة وخطابتها وغيرها من المباحث. ودراسة الصورة من وجهة نظر هذه المباحث لا زالت في بدايتها، وهي تسير في عصرنا بوتيرة متسارعة. لذلك فإن الأفكار التي سنواجه بها هذه الاعتراضات في هذا المقام ليس من جنس الكشف العلمي، بقدر ما هي من جنس استحضار بعض العناصر النظرية من مباحث مقررة، بالإضافة إلى الكشف عن بعض المصادرات المنهجية المضمرة، والتي نرى أنها تؤدي إلى أخطاء في تقويم فكرة الاستدلال التصويري. ولعل أو ما نبدأ به أن أغلب الاعتراضات تأتي أولئك الذي يحاولون دراسة الدليل من وجهة نظر معيارية، وهم في الغالب المهتمون بالمنطق والجدل، لذلك، تجد أن أغلب المعترضين هم أولئك الذين يتبنون تصورا للدليل باعتباره منتوجا، مما يعني أن التصورات الأخرى للدليل قد تكون أكثر انفتاحا

19-Blair: Groundwork in the Theory of Argumentation , p: 209.

20- David Fleming: "Can Pictures be Arguments?", p.14.

21- Ibid, pp. 14-17; Ralph H. Johnson : «Why 'Visual Arguments' aren't Arguments.» In: Hans V. Hansen, Christopher Tindale, J. Anthony Blair and Ralph H. Johnson (Eds.). Informal Logic at 25 (University of Windsor, CD-ROM, 2005)

لقبول الأنواع غير اللغوية، ومنها التصويرية[□□]. يضاف إلى هؤلاء دارسو الحجاج ذوو التوجه الجدلي، ويغلب عليهم التوجه المعياري، بمعنى أنهم ينظرون للكيفية التي يجب أن يسير عليه الحجاج ليكون جيدا، وقلما تجدهم يستكشفون الجدل كما يمارس فعلا في الواقع. وحتى في كلا التوجهين المنطقي والجدلي، نجد صراعا بين مقاربة صورية بنيوية ومقاربة تداولية، عندما يتعلق الأمر بالاستدلال الطبيعي، على اختلاف الدرجات في كلا المقاربتين. نكتفي هنا ببعض الملاحظات المتعلقة بالاعتراضات التي لها طابع دلالي. لنجيب عليها بمقررات نظريات حجاجية معاصرة.

إن الحديث عن الصورة وعدم قدرتها على الإقرار والنفي على المستوى الدلالي أو الإثبات والإبطال في المقام الجدلي، مؤسس على أساس أن التقويم يتم بالنظرية المنطقية الدلالية المسماة بنظرية الصدق، أي تلك التي تقيس العبارة بمعيار الصدق والكذب. فتكون العبارة إما صادقة أو كاذبة، والعبارة الصادقة يكون نفيها كاذبا والعبارة الكاذبة يكون نفيها صادقا. إذا عدنا إلى المناقشات المنطقية والجدلية للدليل الطبيعي لوجدنا أن هذا المعيار نفسه هو محل نقد ونقض[□□]. بل إن نظرية الحجاج المعاصرة تخلصت أو كادت تتخلص من استعماله في تقويم الخطاب الطبيعي. اللغة الطبيعية نفسها في ممارستها الواقعية غير قادرة على استيفاء شروط التقويم الصدقي، فكيف تطلب الصورة استيفاءها. إن الصور تتميز بالاحتمال والترجيح بدل القطع. وهي بذلك، وإن شكلت تحديا حقيقيا للمناهج المقررة، إلا أنها تشكل رهانا لتطوير نظرية الاستدلال والحجاج. وفي النهاية نقول أن الاستدلال، حتى باللغة الطبيعية، لم يعد منحصرا في العبارات التقريرية. ولا تقويمه المادي يتم فقط بالصدق والكذب. فلا مناص من التفكير الجدي في توسيع حدود نظرية الاستدلال لتشمل هذه الأرض الخصبة للبحث.

إن كان الاشتباه الدلالي في اللغة الطبيعية قد دفع النظار في الحجاج إلى مراجعة مناهجهم التقويمية المنطقية والجدلية، فما الذي يمنع من تطوير هذه المناهج بصدد الاستدلال التصويري؟ تتميز الصور مثلها مثل الخطاب الطبيعي بالاشتباه ودرجة من الغموض. بل إن الدراسات تثبت أن الصور تكون، في كثير من الأحيان، أكثر وضوحا من حيث دلالتها من اللغة الطبيعية[□□]. كما أن اللغة قد تكون مجرد تعبير عما في الصورة، فتكون هذه الأخيرة هي الأصل. هذا بالإضافة إلى أن الغموض والاشتباه صفتان نسبيتان في اللغة الطبيعية وفي الصور. وبهذا يسقط الاعتراض حول مشكلة الاشتباه هذه. مع الأخذ بعين الاعتبار أننا الآن في حاجة إلى دراسات تتغيى إنتاج نظرية سيميائية في الصور توفر لنا منظومة مفاهيمية تسمح بتأويل الصور والرموز البصرية بشكل مقبول.

إن استحضار التأويل في الاستدلال بالصور أمر مطلوب، كما هو الأمر بالنسبة للاستدلال باللغة الطبيعية. والسعي إلى تقعيده رهان مستقبلي للدراسات السيميائية المتعلقة بالموضوع. رغم أن من النظار من يرى أن الأولوية الآن يجب أن تعطى للاستدلال الممارس باللغة الطبيعية[□□]. يجب أن نعترف سلطة اللغة الطبيعية في الحجاج، كانت نتيجة للنقاش الذي انحصر بين اللغة الطبيعية واللغة الصورية في الفلسفة التحليلية.

22- Michael A. Gilbert : "Is it Argument ? In Defense Of The Linguistically Inexplicable". In Informal Logic @25: Proceedings of the Windsor Conference. Blair, Anthony et al. (Eds.), (CD-ROM, Windsor, ON, OSSA, 2003, p:8.

□□- أنظر في هذا الصدد:
Charles L. Hamblin: Fallacies (New Port, Vale Press, 2004), pp :232-241.

24- Anthony J. Blair : "The Rhetoric of Visual Arguments" , In Defining Visual Rhetorics, ed. Charles A. Hill and Marguerite Helmmers, (Mahwah, Lawrence Erlbaum Associates Inc, 2008), P: 59.

25- Anthony J. Blair: "Thinking About Visual Argument". (A lecture by J. Anthony Blair, presented at the Universidad Nacional Autónoma de México, 5 December 2005), p. 10.

وان الكثير من النزعات المحافظة في هذا النقاش كانت تستعمل نفس الحجج التي يستعملها ذوو هذه النزعة الآن بصدد النقاش بين اللغة الطبيعية والأنساق السيميائية الأخر كالصور. إن نظرية الحجاج صارت مطالبة بتقديم أسس نظرية لتأطير الاستدلال غير اللغوي، بشكل مواز للبحث السيميائي السائر في اتجاه إعادة الاعتبار للأنساق غير اللغوية.

الخاتمة:

عندما يتم ربط الاستدلال فقط بمفهومي الصدق والصحة المنطقيين مفهوم الإبطال الجدلي، نجد صعوبة في تصور الاستدلال التصويري الكامل، لكن ربط الاستدلال بالإقناع الخطابي أو حتى بمفهوم اللزوم بمعناه المعرفي النفسي فإننا نكون أمام فرصة هائلة لتطوير تصور ملائم وشامل للاستدلال يشمل الاستدلال التصوري أيضا. إن استبعاد الصور من اعتبارها مادة للدليل في المقاربات المنطقية والجدلية هي نتيجة لمقاربتها الاختزالية للاستدلال، مقاربة تفرضها الأطر المنهجية التي تحكم هذه المباحث. إنها تسقط في تضييق لمفهوم الاستدلال من خلال النظر إلى وجوه محددة منه وغض النظر عن أخرى. فالمقاربات الذات الطبيعية المنطقية لا ترى في الاستدلال إلا منتوجا مكتملا يقدم في مجموعة عبارات ترتبط بعلاقة لزومية بين المقدمات والنتيجة، وتغفل عن فكرة أن الممارسة الفكرية واللغوية الحية الطبيعية لا تقدم مثل هذا المنتوج في شكله الجامد هذا. أما المقاربات الجدلية فهي تنظر إلى الاستدلال على أنه تفاعل اجتماعي بين طرفين أو أكثر يقدم فيه كل واحد منهم عبارات ومبررات من أجل إثبات قضية أو إبطالها، مع اتباع مسطرة منهجية تسمح بالحكم على أحد المتجادلين بالفوز أو الخسارة في تحقيق هدفه، وتغفل من جهة أخرى على أن الاستدلال قد لا يكون تفاعلا بين طرفين فقط، بل إنه ممارسة فردية في أساسها، وفي بعض الأحيان في غياب كامل عن المتلقي، كما هو الحال في الاستدلال الفاحص الذي يقوم به فرد متوحد مع نفسه.

إن المقاربة المنهجية التي يمكن أن تفيدنا بدرجة من الدرجات في دراسة الاستدلال عموما والاستدلال التصويري منه على الخصوص، هي المقاربة الخطابية. فمن وجهة النظر الخطابية يمكن أن تلعب المفاهيم الخطابية الأرسطية القديمة أدوارا مهمة في تأطير الاستدلال التصويري، كما هو الشأن لمفاهيم الضمير والعلامات والجانب الانفعالي والأخلاقي من الدليل الخطابي وغيرها. لكننا نحتاج إلى توسيع لهذه المقاربة لتشمل وجهة النظر المعرفية، التي نبحث فيها عن أبحاث ونظريات انشغلت بدراسة التعقل أو التفكير التصويري (Visual Thinking).

إن أغلب الاعتراضات التي تواجه تبني مشروع لتأطير الاستدلال التصويري نابعة من المباحث والنظريات التي يغلب عليها الطابع المعياري، وهي هنا النظريات المنطقية والجدلية. وهذه المباحث والنظريات لا زالت حبيسة أنساق نظرية قديمة تشهد تطورا بطيئا في مقاربة الممارسة الاستدلالية الواقعية، لأنها تسقط في اختزال هذه الممارسة في عناصر محددة تسمح لها بسهولة التناول.

وفي إطار النظريات التواصلية والخطابية التي تتناول الاستدلال، يمكن القول أنه لا يمكن استبعاد العناصر غير اللغوية، مثل العناصر التصويرية والأفعال الإنسانية وغيرهما، من العناصر المشكلة لمواد الدليل في أي تصور يريد أن يكون أكثر واقعية للدليل، رغم صعوبة تأطيره في نظرية للدليل. فلا أحد يعترض على الأقل أن تكون الصور جزءا من الدليل، لكن النقاش يكمن في إمكانية وجود دليل تصويري مستقل عن اللغة، وعن إمكانية صيغة نظرية متعلقة بهذا النوع من الدليل. ويجوز تعميم الحكم على عناصر أخرى. لكن الإقرار بإمكانية الدليل غير اللغوي سيفتح الباب لتوسيع هائل لنظرية الدليل من جهة، وسيضع على النظار عبئا أكبر لتقديم تصور غير تقليدي للدليل، يتضمن تعريفا للدليل خارجا عن الفهم اللغوي لمعنى الخطاب الطبيعي، قد يفتح الباب لتوسيع معنى خطاب من الأفق اللساني إلى أفق سيميائي أرحب.

المراجع

المراجع العربية:

-أرسطو: منطق أرسطو (تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الكويت وبيروت، وكالة المطبوعات ودار القلم، ١٩٨٠).

-البعزاتي، بناصر: الاستدلال والبناء: بحث في خصائص العقلية العلمية (الرباط والدار البيضاء، دار الأمان والمركز الثقافي العربي، ١٩٩٩).

المراجع الأجنبية:

Birdsell, David S, and Leo A Groarke: "Outlines of a Theory of Visual Argument." (Argumentation and Advocacy, 1 (43), 2007), pp. 103-113.

Blair, Anthony J.: "Thinking About Visual Argument". (A lecture by J. Anthony Blair, Presented at the Universidad Nacional Autónoma de México, 5 December 2005, In url: http://unidadfilosofiauaz.weebly.com/uploads/1/0/6/5/106589/sergio_blairvisualarguments.rtf.)

———: "The Rhetoric of Visual Arguments" , In Defining Visual Rhetorics, ed. Charles A. Hill and Marguerite Helmmers, (Mahwah, Lawrence Erlbaum Associates Inc, 2008).

———: Groundwork in the Theory of Argumentation: Selected Papers. (Dordrecht - New York – London, Springer, 2012).

Brockriede, Wayne : "Where is Argument?" In Perspectives on Argument, Proceedings of the Summer Conference on Argumentation., ed. Robert Trapp and Janice Schuetz, (News York – Amesterdam - Brussels: International Debate Education Association, 1980).

Hamblin, Charles L. : Fallacies (New Port, Vale Press, 2004)

Hample, Dale: "A Third Perspective on Argument", Philosophy and Rhetoric, (18 (1), 1985), p.1-22.

Irving M. Copi and Carl Cohen: Introduction to Logic (New York, Macmillan Publishing Company, 8th ed, 1990).

Fleming, David: "Can Pictures be Arguments?" (Argumentation & Advocacy, 33 (1), 1996), p.11-22.

Ralph H. Johnson : «Why 'Visual Arguments' aren't Arguments.» In: Hans V. Hansen, Christopher Tindale, J. Anthony Blair and Ralph H. Johnson (Eds.). Informal Logic at 25 (University of Windsor, CD-ROM, 2005, in url: http://web2.uwindsor.ca/courses/philosophy/johnsoa/visargtext.htm)

Gilbert, Michael A : "Is it Argument ? In Defense Of The Linguistically Inexplicable". In Informal Logic @25: Proceedings of the Windsor Conference. Blair, Anthony et al. (Eds.), (CD-ROM, Windsor, ON, OSSA, 2003, in url : http://web2.uwindsor.ca/faculty/arts/philosophy/ILat25/edited_Gilbert_Paper.doc)

O'Keefe, J. Daniel.: "Two concepts of argument.", (Journal of the American Forensic Association, 13 (3), 1977) , pp. 121–128.

Perelman, Chaim, and Lucie Olbrechts-Tyteca : Traité de L'argumentation: La nouvelle Rhétorique. (Paris, P. U. F, 1958).

Walker, Gregg B. & Malcolm O Sillars: «Where is Argument? Perelman's Theory of Values» In Perspectives on argument, Proceedings of the summer conference on argumentation. Ed. R. Trapp & J. Schuetz (New York - Amesterdam - Brussels: International Debate Education Association, 1980).